المملكة العربية السعودية
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الرياض - حي سلطانة

محاضرة

معالم منهج أهل السنة والجماعة

لفضيلة الشيخ:
أ. د. أحمد بن حمد الونيس

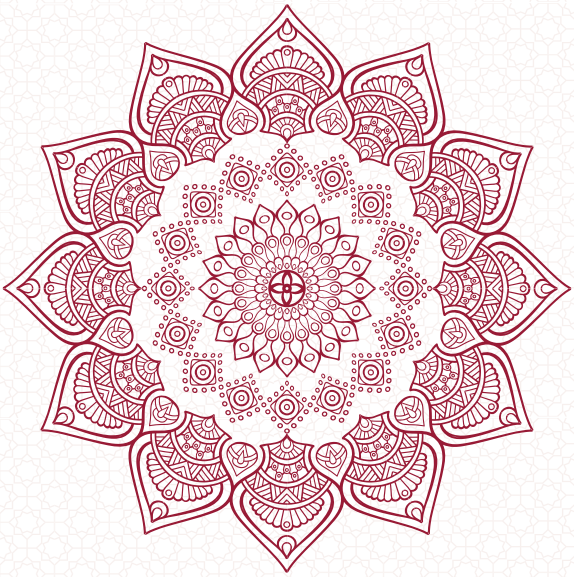

بسم الله الرحمن الرحيم

معالم منهج أهل السنة والجماعة

محاضرة بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية بسلطانه في ١٤٤٧/٣/١٠هـ

إن الحمد لله ... أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما يسر من هذا اللقاء، وأسأله سبحانه أن يكون لقاء نافعا مباركا، وأن يرزقنا علما نافعا وعملا صالحا، إنه سميع مجيب.

أيها الإخوة الكرام ... موضوع هذه المحاضرة: (معالم منهج أهل السنة والجماعة) وهذا الموضوع موضوع واسع، والكلام فيه طويل جدا، ولكن لعلي في هذه المحاضرة أن أتناول بعض جوانبه، وأن أشير إلى ما تمس الحاجة إليه في هذا الموضوع بحسب ما يسمح به الوقت، وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم في أقوالنا وأعمالنا.

أبدأ أولاً ببيان المراد بعنوان المحاضرة، وهذا العنوان فيه عدة مصطلحات: معالم، ومنهج، وأهل السنة والجماعة.

أما كلمة معالم في اللغة، يقال معالم المكان: ما يُستدلُّ بها عليه من آثارٍ ونحوِها، ومَعالِمُ الطّريق: العلامات التي تدلُّ عليه، ومَعالِمُ المدينة: الأبنية ونحوها التي تشتهر بها وتميِّزها عن غيرها من المدن.

فمعالم الشيء هي ما تدل عليه، وتميزه عن غيره.

وأما كلمة المنهج فهي في اللغة تطلق على الطريق الواضح[١].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (ن ه ج).

وأما مصطلح أهل السنة والجماعة، فهم المتبعون لسنة النبي ﷺ، المعظمون لها، المقدمون لها على العقل والرأي، وهم المجتمعون على الحق، وعلى ولاة أمرهم.

وهذا بخلاف أهل البدع، فيُسمَّون بأهل الأهواء، لأنهم يقدمون أهواءهم على السنة، ويُوصفون بالفُرقة، لأنهم يخرجون على جماعة المسلمين إما بآرائهم المخالفة لما أجمع عليه السلف، وإما بخروجهم على أئمة المسلمين بالسيف.

فأهل السنة والجماعة هم سلف هذه الأمة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، الذين تمسكوا بكتاب ربهم عز وجل، وبسنة النبي ﷺ عقيدةً، وعملاً.

وبناء عليه فيكون المراد بمعالم منهج أهل السنة والجماعة: الدلائل التي يتميز بها منهج أهل السنة والجماعة، وهو طريقهم الواضح البين، الذي سار عليه الأئمة المتقدمون من خيار هذه الأمة، في القرون المفضلة، وامتازوا به عن مخالفيهم من أهل البدع والضلال.

وكل من سار على طريقة السلف الصالح واتبعهم بإحسان، ولو كان في القرون المتأخرة فإنه يوصف بوصفهم، ويُلحق بهم، فيُوصف بأنه سلفي، فالسلفيون هم أتباع السلف الصالح، المتمسكون بهديهم، السائرون على طريقتهم.

ولكن لا بد لمن تسمَّى بأنه سلفي أن يكون هذا الوصفُ مطابقا للواقع، وأن يكون سلفيا ظاهرا وباطنا، حتى يكون الوصف صحيحا، وإلا فهناك من الجماعات الضالة من تصف نفسها بالسلفية، والسلفية منها براء، لمخالفتها لمنهج السلف الصالح، وهناك من الأشخاص من يدعي أنه سلفي، وليس كذلك في الحقيقة، لأنه لم يسر على طريقة السلف الصالح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مجموع الفتاوى ٤/ ١٤٩: (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق. فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقا. فإن كان موافقا له باطنا وظاهرا: فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنا وظاهرا. وإن كان موافقا له في الظاهر فقط دون الباطن: فهو بمنزلة المنافق. فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله. فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم).

وأهل السنة والجماعة يطلق عليهم عدة إطلاقات، منها:

١- السلف الصالح: وكلمة سَلَف في اللغة: تأتي بمعنى تَقَدَّم، والسلف هم الجماعة المتقدمون[(١)].

ومعنى الصالح في اللغة: ضد الفاسد[(٢)].

وفي الاصطلاح يراد بالسلف: أصحاب رسول الله ﷺ و رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن تبعهم بإحسان من التابعين وتابعي التابعين، لقول الله عز وجل: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)

ولما في الصحيحين من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً» رواه البخاري ٦٤٢٨، ومسلم ٢٥٣٥.

---

(١) ينظر: لسان العرب ٩/ ١٥٨، مادة (سلف).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (ص ل ح).

هذا الشك وقع في بعض الأحاديث لكن جاء في أكثر الطرق بغير شك أنه ﷺ ذكر بعد قرنه قرنين، فتكون القرون المفضلة ثلاثة.

ويخرج من مصطلح السلف الصالح كل من رمي ببدعة في الصدر الأول كالخوارج والروافض والمرجئة ونحوهم من أهل البدع الذي وُجدوا في زمان السلف.

٢- **أهل الحديث والأثر**، لتعظيمهم لحديث رسول الله ﷺ، وآثار الصحابة رضي الله عنهم، فلا يُقدِّمون على قول رسول الله ﷺ قولَ أحد من الناس كائنا من كان، وإذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قول لم يتجاوزه، وإذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم على قولين أو أكثر من لم يخرجوا عن خلافهم.

ويدخل في هذا كلُّ من كان معظما للحديث والأثر، سواء أكان من المشتغلين بالحديث أم بالفقه أم بالتفسير أم بغيرها من علوم الشريعة.

٣- **الطائفة المنصورة**، لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» متفق عليه.

٤- **الفرقة الناجية**، لقول النبي ﷺ: «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «هي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي» رواه أبو داود.

وإذا تبين المراد بمنهج أهل السنة والجماعة فإن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتبع منهجهم، ولا يجوز له مخالفته، وهذا الوجوب دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

قال الموفق ابن قدامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذم التأويل ص٣٥: (فقد ثَبت وجوب اتِّبَاع السّلف رَحْمَة الله عَلَيْهِم بِالْكتاب وَالسّنة وَالْإِجْمَاع).

وحكى الاتفاق على ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٧، ١٥٨: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها -: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله الله على علم).

ومن الأدلة على وجوب لزوم منهج أهل السنة والجماعة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» رواه أبو داود.

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ» رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١٠.

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري ٧٠٦٨.

فدل هذا الحديث على أن الزمان كلما تقدَّم زاد الشر في الأمة، وقلَّ الخير، فصار زمان السلف في القرون المفضلة هو الأكثر خيرا الأقل شرا من زمان من بعدهم، فكان السلف الصالح أحقَ بالاتباع من الخلَف.

وقد تتابع علماء الإسلام على الأمر بلزوم منهج السلف الصالح الذين هم أهل السنة والجماعة، والتحذير مما يخالفه.

قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (عَلَيْك بالأثر وَطَرِيقَة السّلف وَإِيَّاك وكلَّ محدثة فَإِنَّهَا بِدعَة)[١].

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والتسليم للسنن لا تُعارَض برأي ولا تُدافَع بقياس، وما تأوَّله منها السلف الصالح تأوَّلناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعُهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله)[٢].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا)[٣].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدَعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ)[٤].

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة ص٣٣.
(٢) الجامع في السنن لابن أبي زيد القيرواني ص١١٧.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ١٥٨.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٧٥.

ولهـذا كان شـعار أهـل السـنة والجماعة في كل زمـان ومكان أنهـم يتبعون السلف الصالح.

قال أبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الانتصار لأهل الحديث ص٣١: (وشـعار أهل السّنة اتباعُهم السّـلف الصَّالح، وتركُهم كلَ مَا هُوَ مُبْتَدع مُحدث).

وفي المقابل فإن شعار أهل البدع عدم الاتباع للسلف الصالح.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما في مجمـوع الفتاوى ٤/ ١٥٥: (شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السلف).

بعد هـذه المقدمة أذكر طرفا مـن معالم منهج أهل السـنة والجماعة، والتي تميزهم عن مخالفيهم من أهل البدع والضلال.

المعْلَم الأول

تعظيم أهل السنة والجماعة لنصوص الكتاب والسنة.

والمراد بتعظيم نصوص الكتاب والسنة: اعتقاد أنها حق، والعمل بما دلت عليه، بأن يمتثل العبد ما أمرت به، وينتهي عما نهت عنه، ويُقدِّم النصوص الشرعية على ما تهواه نفسُه وولدُه والناسُ جميعا.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾

وقال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾

وتوعد الله عز وجل المخالفين لأمر نبيه ﷺ فقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهذا وعيد شديد على من يخالف أمر الله أو أمر رسوله ﷺ، بأن تصيبه الفتنة، وهي الشرك كما قال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وروى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ[(١)].

فإذا كان مَن يُعارِض كلام النبي ﷺ بكلام الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد عرَّض نفسه للهلاك، فكيف بمن يُعارِض كلامه ﷺ بكلام غيرهما؟!

روى سَالم بن عبد الله بن عمر أَن عمر بن الْخطاب نهى عَن التَّطَيُّب قبل زِيَارَة الْبَيْت وَبعد الْجَمْرَة.

قَالَ سَالم فَقَالَت عَائِشَة طيبت رَسُول الله ﷺ بيَدي هَاتين لإِحرامه قبل أَن يحرم ولحله قبل أَن يطوف بِالْبَيْتِ.

قَالَ سَالم وَسنة رَسُول الله أَحَق أَن تتبع[(٢)].

قَالَ الشَّافِعِي فَترك سَالم قَول جده عمر فِي إِمَامَته وَقبل قَول عَائِشَة وَسنة رَسُول الله ﷺ أَحَق وَذَلِكَ الَّذِي يجب عَلَيْهِ[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٣١٢١) (٥/ ٢٢٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده - بترتيب سنجر - برقم (١٠٢٣).

(٣) انظر: مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ص٦٩. وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني ١/ ٤٨٢.

وقال الشافعي أيضا: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهل العلم[١].

قال الإمام أحمد: ولو بلغ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما روته عائشة لرجع إلى خبرها، وإذا لم يبلغه فسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع، كما قال سالم بن عبد الله بن عمر[٢].

والأدلة على وجوب اتباع الكتاب والسنة كثيرة جدا.

ولكن التعظيم والاتباع للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة مقيد بفهم السلف الصالح، وهذا القيد مهم؛ لأن كثيرا من أهل البدع يحتج على بدعته بنصوص من الكتاب والسنة، وهذا الاحتجاج غير مقبول، لمخالفته لفهم السلف الصالح.

ومن الأمثلة على ذلك: الاحتفال بمولد النبي ﷺ، احتج لمشروعيته بعض المتأخرين من أهل العلم ببعض النصوص، فيقال لهم: هل فهم السلف الصالح في القرون المفضلة ما فهمتموه من استنباط هذا الحكم من النص؟

قطعا سيقولون: لا. لأن المولد النبوي لم يُعرف في تاريخ الأمة الإسلامية إلا بعد منتصف القرن الرابع الهجري، ومعنى ذلك أن السلف الصالح في القرون المفضلة لم يفهموا من أي نص من نصوص الكتاب والسنة أن المولد مشروع، وهذا إجماع منهم على عدم مشروعيته، ولا شك ولا ريب أن السلف الصالح أعلم وأتقى ممن جاء بعدهم.

ولهذا يمكننا أن نرد على كل مبتدع استدل على بدعته بنص كتاب أو سنة، فنقول له: هل استدل بهذه الآية أو بهذا الحديث أحد من السلف على ما ذهبت إليه، وحينئذ لا يخلو أن يقول: نعم. فنقول له: أثبت ذلك بسند صحيح إلى قائله، وإلا لم نقبل ذلك منك. وأنى له أن يثبت ذلك.

---

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي ٧/ ٣٢٧.

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي ٧/ ١١٥.

وإما أن يقول: لم يقل به أحد من السلف. فنقول سبحان: جهلوه وعلمته أنت أيها المتأخر، فهل أنت أعلم من السلف بالكتاب والسنة؟

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الفتاوى ١٩/ ٢٠٠: (وَلِلصَّحَابَةِ فَهْمٌ فِي الْقُرْآنِ يَخْفَى عَلَى أَكْثَرِ الْمُتَأَخِّرِينَ كَمَا أَنَّ لَهُمْ مَعْرِفَةً بِأُمُورٍ مِنْ السُّنَّةِ وَأَحْوَالِ الرَّسُولِ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ فَإِنَّهُمْ شَهِدُوا الرَّسُولَ وَالتَّنْزِيلَ وَعَايَنُوا الرَّسُولَ وَعَرَفُوا مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى مُرَادِهِ مَا لَمْ يَعْرِفْهُ أَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ)

ويدل لاعتبار فهم السلف الصالح قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما في مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤٣: (من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام).

❁ ❁ ❁

المعْلَم الثاني

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

عنايتُهم الكبيرةُ بالتوحيد تعلماً وتعليماً ودعوةَ الناس إليه، فهو أصل الأصول، وأعظم ما أمر الله به، ويحذِّرون مما يضادُ التوحيد من الشرك والكفر، كما يحذرون من البدع والمحدثات، وهذا ظاهر في كلامهم ومؤلفاتهم وفتاويهم.

وهم في هذا سائرون على طريقة الأنبياء عليهم الصلاة السلام، فما من نبي إلا ويقول لقومه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وقال جل وعلا: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

والنبي ﷺ لما أرسل معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...».

وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يحدوا الله»

وهنا أَذْكُر كلمة للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في أحد ردوده على المخالفين أنه قال: (فلو أن لك معرفةً في التوحيد أو قبوله لكنت تكثر من ذكره، كما قيل: من أحب شيئا أكثر من ذكره)[1].

ولهذا تجد أهل البدع والجماعات الحزبية المعاصرة كثير منهم ليس لهم عناية بالدعوة إلى التوحيد، خاصة توحيد الألوهية، والذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقوامهم، ولا تزال الخصومة قائمة اليوم فيه بين أهل السنة ومخالفيهم الذي يغلون في الصالحين، ويقصدون القبور، ويسألون أصحابها قضاء الحاجات وكشف الكربات.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٢/ ٤٤.

ولهذا انتقد علماؤنا حركة الإخوان المسلمين بأنه ليس عندها نشاط في الدعوة إلى التوحيد، وإنكار ما يضادُه من الشرك والبدع، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٨/ ٤١. (حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع).

وذلك أن هذه الجماعة تسعى إلى التجميع وتكثير الأتباع بغض النظر عن سلامة الاعتقاد، ويرون أن الكلام في توحيد العبادة، والتحذير من الشرك مما يفرق المسلمين بزعمهم.

ومن الشواهد على الخلل العقدي عند هذه الجماعة قول أحد مرشدي جماعة الإخوان وهو عمر التلمساني في كتابه شهيد المحراب ص٢٢٦: (فلا داعي إذن للتشدد في النكير، على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة، والدعاء فيها عند الشدائد)

ثم قال التلمساني ص٢٣١: (فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم ومقاماتهم)

ولا يخفى على من عرف عقيدة التوحيد أن من قصد قبور الصالحين ودعا أصحابها في الشدائد والملمات أن ذلك شرك أكبر، وإن قصد القبور ودعا الله عز وجل معتقدا أن الدعاء عند قبور الصالحين مستجاب ففعله بدعة منكرة، ووسيلة إلى الشرك.

المعْلَم الثالث: من معالم منهج أهل السنة والجماعة
الاجتماعُ في الدين، والاعتصامُ بحبل الله المتين

قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ وحبل الله هو دينه الذي ارتضاه لعباده.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعا ولا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وقال، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ) رواه مسلم.

وقد ذم الله تعالى التفرق في الدين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ فالتفرق في الدين يجعل الأمة أحزابًا متنافرين، وشيعًا متفرقين، يعادي بعضهم بعضًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ قال: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب» رواه أحمد، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم» رواه ابن أبي عاصم في السنة.

ولعظم هذا الأمر وخطورته، فقد أعطى الشرعُ الحقَّ لولي الأمر، أن يعاقب من سعى في اختلاف المسلمين وتفريق كلمتهم، أن يعاقبه بأشد العقوبات، فعن عَرْفَجَةَ بنِ شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: (إنه سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ – أي فتن وأمور حادثة – فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هذه الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا من كان) رواه مسلم.

فالاجتماع على الحق هو منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج السلف الصالح، أما أهل البدع والضلال والجماعات الحزبية المعاصرة فمنهجهم السعي إلى تفريق المسلمين، واختلافهم على أمرائهم، وخروجهم عليهم بالسيف، كما هو حال الخوارج المارقين قديما وحديثا.

المعْلَم الرابع

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

أن يكون المسلمون جماعة واحدة، تحت لواء الإسلام، فيعقدون الولاء والبراء على مقتضى عقيدة أهل السنة والجماعة، ويكونون تحت ولاية عامة واحدة، ذات شوكة ومنعة، تعقد لها البيعة، ويدان لها بالسمع والطاعة، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتةً جاهلية[(١)]»[(٢)].

فقوله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً» والشِّبر قدرٌ قليل، فدل على تحريم مفارقة الجماعة، والسعي في نقض بيعة ولي الأمر ولو بأقل شيء من السعي في نقضها، لأن ذلك يؤول إلى سفك الدماء وحصول الفوضى.

قال البغدادي في الفَرْق بين الفِرَق ص١٢: (كَانَ الْمُسلمُونَ عِنْد وَفَاة رَسُول الله ﷺ على منهاج وَاحِد فِي أصول الدّين وفروعه غير من أظهر وفَاقا وأضمر نفَاقًا).

ومن المخالفة لمنهج السلف الصالح التحزب والانتماء إلى الجماعات والأحزاب المخالفة للسنة، فإن الله عز وجل قد نهى عن التفرق والاختلاف،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في فتح الباري (١٣/ ٨): (والمراد بالميتة الجاهلية وهي بكسر الميم حالة الموت، كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه: أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير، وظاهره غير مراد).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٤).

فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

لا يخفى على الناظر في واقع المسلمين اليوم ظهور جماعات متعددة ترفع شعار الدعوة إلى الله تعالى، وتزعم أنها تخدم الإسلام حسب مفهومها، وكل جماعة من هذه الجماعات قد وضعت لنفسها منهجا خاصا تسير عليه، وأصولا تعتمدها، ولها قيادات خاصة، يواليها الأتباع، وقد يكون هناك بيعة خاصة لأمير الجماعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، ويكون الولاء لأتباع الحزب أو الجماعة، سواء أكانوا على حق أم باطل، والبراء ممن ليسوا من الحزب أو الجماعة سواء أكان المخالفون لهم على حق أم باطل، وهذا هو حقيقة التحزب، الذي نهى الله عز وجل عنه ورسوله ﷺ، وحذر السلف منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الفتاوى ٢٨/ ١٥: (وَلَيْسَ لِلْمُعَلِّمِينَ أَنْ يحزبوا النَّاسَ وَيَفْعَلُوا مَا يُلْقِي بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، بَلْ يَكُونُونَ مِثْلَ الْإِخْوَةِ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وَلَيْسَ لِأَحَدِ مِنْهُمْ، أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أَحَدٍ عَهْدًا بِمُوَافَقَتِهِ عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُهُ؛ وَمُوَالَاةِ مَنْ يُوَالِيهِ؛ وَمُعَادَاةِ مَنْ يُعَادِيهِ).

ومن الشواهد على التحزب لدى الجماعات المعاصرة أن جماعة الإخوان المسلمين ترى أنها هي الجماعة التي على الحق، وأنها هي التي تمثل منهج الإسلام، قال مؤسس الجماعة حسن البنا في مذكرات الدعوة والداعية ص١٩٠: (على كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كلَّه من الإسلام، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة)

وقال في مذكراته ص٢٢٨: (فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس، ولا تأتي هي أحدا، وتستغني عن غيرها، إذ هي جماع كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص)

وهذا يدل على أن الجماعة جماعة حزبية، ترى أن الحق معها وحدها.

بل تجاوز سيد قطب فزعم أن من خالفهم فقد حكم على نفسه بالكفر، ففي كتاب التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين لعلي عشماوي ص٩٣، ٩٤ - وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات لعلي عشماوي، وهو من قادة التنظيم الخاص في الجماعة - ذكر كلاما لسيد ثم قال: (ثم تأتي بعد ذلك مرحلة المفاصلة، وهي أن يقف رجالات هذه الدعوة، ويفاصلوا المجتمع، ويقولوا: إن هذا طريقنا، وهذا طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر).

المعلم الخامس

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

أن ولاءهم يكون لمن والاه الله ورسوله ﷺ، وبراءتهم ممن برئ الله منه ورسوله ﷺ، فمن مقتضيات محبة الله ورسوله ﷺ، محبةُ أوليائه ومعاداةُ أعدائه، فيحب المسلمُ أهل التوحيد والإيمان ويواليهم، ويبغض أهل الكفر والشرك ويعاديهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام الذي أُمرنا بالاقتداء به، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾

والناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يُحبَّون محبة خالصة لا معاداة معها، وهم أهل الإيمان الخالص، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، التابعين لهم بإحسان ممن سار على طريقتهم في الاعتقاد والعمل من أهل العلم والصلاح إلى عصرنا، فهؤلاء يحبون محبة خالصة لا معاداة معها.

والقسم الثاني: من يُبغَضون بغضا خالصا، لا محبة معه، وهم الكفار على اختلاف مللهم، من المشركين والملحدين والمرتدين وغيرهم، فهؤلاء يحرم أن يكون في قلوبنا لهم محبةٌ ومودة، لقول الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

وبغضنا للكفار لا يعني ظلمهم، أو إخلاف العهود بيننا وبينهم، بل نعاملهم بالعدل، وعلى وفق ما جاءت به الشريعة، ومن ذلك دعوتهم إلى دين الله عز وجل وترغيبهم فيه.

القسم الثالث: من يُحَب من وجه ويُبغَض من وجه، فتجتمع فيه المحبة والعداوة، وهم عصاة المسلمين، فيُحبَّون لما عندهم من الإيمان وتوحيد الله تعالى وفعلهم لبعض الطاعات، ويُبغَضون لما عندهم من المعاصي، ومحبتهم تقتضي النصحَ لهم، وأمرَهم بالمعروف ونهيَهم عن المنكر، فموقف أهل السنة من هؤلاء أنهم لا يتبرؤون منهم تبرؤاً تاما كما تقول الخوارج الذين يكفرون المسلم إذا ارتكب كبيرة دون الشرك، ولا يحبونهم حبا خالصا كما تقول المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، بل يتوسطون في شأنهم فيحبونهم من وجه ويبغضونهم من وجه.

هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الولاء والبراء.

أما المخالفون للمنهج السلفي فقد يحصل من بعض طوائفهم الموالاة لأهل البدع والضلال تبعا لتحقيق مصالحهم، ومن الأمثلة على ذلك موالاة جماعة الإخوان المسلمين لأهل البدع، فموالاتهم للرافضة في هذا العصر لا تحتاج إلى برهان، ولهذا تجد أتباع الجماعة والمتعاطفين معها على عقائد مختلفة، فالمهم عند جماعة الإخوان التجميع لأكبر عدد من الأتباع، بغض النظر عن الاعتقاد، سائرين في ذلك على القاعدة التي قررها لهم مؤسسهم حسن البنا: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

وقد عرضت هذه القاعدة على سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فقال: (نعم يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة إليه والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله، أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه

بـل هو محل تفصيل، فما كان من مسـائل الاجتهاد التـي يخفى دليلها فالواجب عـدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسـنة فالواجـب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسـنة والجدال بالتي هي أحسن عملا بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وقوله سـبحانه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ وقوله عز وجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ ...) فتاوى ابن باز جمع الشويعر ٣/ ٥٨.

ومـن صـور المخالفة لمنهج أهل السـنة والجماعـة في باب الـولاء والبراء وصـف بعض الناس اليهود والنصـارى وغيرهم من الكفار بأنهم إخواننا، فيقول بعضهـم: إخواننا اليهود. أو إخواننا النصـارى. وهذا قد وقع من بعض الناس في هذا العصر.

ومـن المعلـوم بداهة أنه لا أخوة إلا بين المسـلمين، لقوله سـبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ أما الكفار فإنهم ليسوا إخوانَنا، بل هم أعداؤنا.

❁ ❁ ❁

المعلم السادس

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

معرفة حق ولاة أمور المسلمين، وتعظيمُهم التعظيم اللائق بهم، على وفق ما جاءت به الشريعة، من السمع والطاعة لهم في غير معصية الله تعالى، ولزومِ بيعتهم، وعدمِ الخروج عليهم، وغير ذلك من حقوقهم الشرعية.

وذلك عملا بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

وقوله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

قال ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان حقوق السلطان على رعيته: (أن يُعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حُرمتهم، ويُلبُّون دعوتهم، مع زهدهم وورعهم، وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة)[١].

وقال القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ويجب طاعة الأيمة وإجلالهم، وكذلك نوابهم، فإن عصوا بظلم أو تعطيل حد وجب الوعظ ...) ثم قال: (قاعدة: ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأيمة في نفس الرعية، ومتى اختلفت عليهم أو أُهينوا تعذرت المصلحة)[٢].

---

(١) تحرير الأحكام ص٦٣.

(٢) الذخيرة (١٣/ ٢٣٤).

والمخالفون للسلف الصالح في حفظ حق ولاة الأمر هم الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالكبائر التي هي دون الشرك والكفر، ويخرجون على ولاة أمور المسلمين بالسيف.

وممن خالف منهج السلف الصالح في باب حقوق ولاة الأمر بعض الجماعات المعاصرة.

فمن ذلك ما ذكره علي عشماوي في كتابه: التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين. ص٤٩، ذكر أن من مشاكل التنظيمات السرية أن الأمر قائم على السمع والطاعة المطلقة، فالعمل السري لا يحتمل المناقشات الكثيرة والتردد في اتخاذ القرارات، وهذا مما يوجد الإحساس بالتسلط عند المسؤولين، وضيقهم عند المناقشة. ا. هـ.

وبهذا يتضح أن الجماعة قائمة على البيعة الخاصة للمرشد، وأن يسمع له ويطاع بإطلاق، وهذا من العجب، فإن النصوص الشرعية جعلت من حقوق ولي الأمر، وهو الإمام الشرعي أن يسمع له ويطاع في غير معصية، فهي طاعة مقيدة لا مطلقة، وأما عند جماعة الإخوان فالسمع والطاعة مطلقة، فلا شك أنهم حينئذٍ أولى بوصف غلاة الطاعة.

فضلا عن كون البيعة لا تجوز لغير ولي الأمر الأعظم، الذي اجتمع الناس عليه.

المعلم السابع

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

نصيحتهم لولاة الأمر سرا لا علنا، مهتدين في ذلك بهدي النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم.

فعن عياض بن غنم رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ)[1].

وعن شقيق عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه. فقال: أَتُرَون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه)[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤/ ٤٩) برقم (١٥٣٣٣) والبخاري في التأريخ الكبير (٧/ ١٨، ١٩) وابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٩٦) و (١٠٩٧) و (١٠٩٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/ ٤١٣) تحت باب النصيحة للأئمة وكيفيتها، ثم قال: (رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أني لم أجد لشريح من عياض وهشام سماعا وإن كان تابعيا). ثم ذكر نحوه عن جبير بن نفير أن عياض بن غنم فذكره ثم قال: (ورجاله ثقات وإسناده متصل). وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ص٥٢٣ بعدما تكلم على طرقه: (فالحديث صحيح بمجموع طرقه) واحتج به الشوكاني في السيل الجرار (٤/ ٥٢٧) وكذا احتج به سماحة الشيخ ابن باز كما في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨/ ٢١١) وصححه الشيخ عبد المحسن العباد كما في ردِّه على الرفاعي والبوطي ص٢٢، وقال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الأربعين النووية ص٤٧١: (إسناده قوي، ولم يُصِب من ضعَّف إسناده، وله شواهد كثيرة) وانظر: معاملة الحكام ص١٤٣- ١٥١ فقد أطال في الكلام على أسانيده، كما يشهد لهذا الحديث ما ثبت من آثار الصحابة رضي الله عنهم الآتية.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٩٨) ومسلم برقم (٢٩٨٩) واللفظ لمسلم.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وقوله بعدُ: (دون أن أفتح باباً لا أحب أن أكون أول من فتحه) يعني في المجاهرة بالنكير، والقيام بذلك على الأمراء، وما يُخشى من سوء عقباه، كما تولَّد من إنكارهم جهاراً على عثمان بعد هذا، وما أدى إلى سفك دمه واضطراب الأمور بعده.

وفيه التلطف مع الأمراء، وعَرض ما يُنكَر عليهم سراً، وكذلك يلزم مع غيرهم من المسلمين ما أمكن ذلك، فإنه أولى بالقبول وأجدر بالنفع، وأبعد لهتك الستر وتحريك الأَنَفة)[١].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه لحديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٢]، قال: (وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَحُبُّ صَلَاحِهِمْ وَرُشْدِهِمْ وَعَدْلِهِمْ، وَحُبُّ اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةُ افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّدَيُّنُ بِطَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْبُغْضُ لِمَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ، وَحُبُّ إِعْزَازِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٣].

وعن زياد بن كُسَيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر[٤]، وهو يخطب، وعليه ثياب رِقَاق[٥]، فقال أبو بلال[٦]: انظروا إلى أميرنا، يلبس

(١) إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم (٨/ ٥٣٨) وبنحوه قال الْأُبِّي في إكمال إكمال المعلم (٧/ ٢٩٨).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٢)
(٤) هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العبسي، كان أميراً على البصرة. انظر: عارضة الأحوذي (٩/ ٥١).
(٥) أي رقيقة رفيعة. انظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٤٩).
(٦) هو مرداس بن أُدَيَّة، من رؤوس الخوارج. قاله ابن عساكر في تأريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٥) ويؤيده رواية ابن عساكر فقد صرح فيها باسمه.

ثياب الفساق! فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**»[١]. رواه الترمذي.

وفي رواية للبيهقي: «**من أكرم سلطان الله أكرمه الله، ومن أهان سلطان الله أهانه الله**»[٢].

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ولعل الاعتراض الوارد عليه لكونه نصيحة تتضمن فضيحة، يتفرع عليه فتنة صريحة)

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: لا تسبوا أُمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب[٣].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (إن لم يكن يتمكن نصح السلطان فالصبر والدعاء، فإنهم كانوا ينهون عن سب الأمراء) ثم ساق هذا الأثر بإسناده[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٢٢٤) وابن عساكر في تأريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٤، ٢٥٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٤٥) **و**أخرجه أحمد برقم (٢٠٤٣٣) (٣٤/ ٧٩) بلفظ: (مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بدون ذكر القصة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٨٨): ورجال أحمد ثقات.

(٢) أخرجها البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٦٦٥٩) (٨/ ٢٨٣) وابن عساكر في تأريخ دمشق (٢٩/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠١٥) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٧) برقم (٧١١٧) وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٠٦، ٤٠٧) وقال الألباني في ظلال الجنة ص٤٨٨: إسناده جيد.

(٤) انظر: التمهيد (٢١/ ٢٨٧).

المعلم الثامن

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

ردهم على المخالفين بأنواعهم، من الكفرة والمشركين، والمبتدعة، بل حتى من خالف الحق في مسائل الفقه، فيردون عليه بعلم ونية صالحة، بقصد حماية الشريعة أن يُدخل فيها ما ليس منها.

فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» رواه أبو داود ٢٥٠٤ وصححه الألباني.

فنص الحديث على أن الجهاد يكون باللسان، وذلك ببيان الحق ودفع الباطل، ويدخل في ذلك الجهاد بالقلم.

والرد على المخالفين أصل من أصول الإسلام، جرى عليه عمل السلف مع مخالفيهم، وهو نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن إنكار المنكر الذي لا يقوى عليه إلا خاصة أهل العلم، ولذا تجد مما يُثنى به على العالم في ترجمته في كتب السير قولَهم: وكان شديدا على أهل البدع.

ولقد أحسن من قال:

مِن الدِّين كشفُ الستر عن كل كاذب ... وعن كلِّ بدعيٍّ أتى بالمصائب

ولولا رجالٌ مؤمنون لهدِّمتْ ... صوامعُ دينِ الله من كلِّ جانب

والرد على دعاة البدعة أعظم وأوجب من الرد على دعاة الشهوات، الذين يدعون الناس إلى الزنا وشرب الخمر، وغيرها من الكبائر التي دون الشرك والكفر.

ولكن لا يردُّ على المخالفين إلا من تأهل للرد عليهم، وكان على علم وبصيرة في ذلك، وأما من لم يتأهل للرد فلا يجوز له أن يرد على المخالفين، لأنه لا يحسن ذلك، وقد يكون في رده سوء عاقبة على أهل السنة.

ويتأكد الرد على المخالفين في هذا الزمان لتنوع وسائل الإعلام والاتصال، وسرعة انتشار المعلومة، بخلاف ما كان عليه الحال في الأزمنة السابقة، أما في هذا الزمان فيمكن للمبتدع أو صاحب الباطل أن ينشر باطله على أوسع نطاق، فتنتشر في العالم كله، وربما بلغات مختلفة أيضا، فكان الخطر أكبر مما مضى، وأصبح الواجب في الرد على هؤلاء أوجب، وأن يكون الرد بمثل الوسائل التي نشروا بها باطلهم.

والرد على المخالفين واجب كفائي على أهل العلم، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وصار في حق البقية من أهل العلم مستحبا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الفتاوى ٤/ ١٣: (فَالرَّادُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ مُجَاهِدٌ حَتَّى كَانَ « يَحْيَى بْنُ يَحْيَى « يَقُولُ: «الذَّبُّ عَنْ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ الْجِهَادِ»).

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٢٨/ ٢٣١: (وَمِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إلَيْك أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ؟ فَقَالَ: إذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ. فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ إذْ تَطْهِيرُ سَبِيلِ اللهِ وَدِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ وَشِرْعَتِهِ وَدَفْعِ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ).

ويتأكـد الرد على المخالف إذا كان المخالف ممن تزيا بزي العلم، أو أُطلق عليـه أنـه من الدعاة إلى الله تعالـى، أو كان ممن يظهر منه الخشـوع والبكاء عند مواعظـه، أو كانـت لـه جهود في خدمة الإسـلام، فهـذا إذا وقعت منـه المخالفةُ للشرع فالفتنة به أعظم من غيره.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٣٣: (وَإِذَا كَانَ أَقْوَامٌ لَيْسُوا مُنَافِقِيـنَ لَكِنَّهُمْ سَـمَّاعُونَ لِلْمُنَافِقِينَ: قَـدْ الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُـمْ حَتَّى ظَنُّوا قَوْلَهُمْ حَقًّـا؛ وَهُـوَ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَصَـارُوا دُعَاةً إلَى بِـدَعِ الْمُنَافِقِينَ كَمَـا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَـمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ فَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ بَيَانِ حَالِ هَؤُلَاءِ؛ بَلْ الْفِتْنَةُ بِحَالِ هَؤُلَاءِ أَعْظَمُ فَإِنَّ فِيهِمْ إيمَانًا يُوجِبُ مُوَالَاتِهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا فِي بِدَعٍ مِنْ بِدَعِ الْمُنَافِقِينَ الَّتِي تُفْسِدُ الدِّينَ فَلَا بُدَّ مِنْ التَّحْذِيرِ مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ وَإِنْ اقْتَضَى ذَلِكَ ذِكْرَهُمْ وَتَعْيِينَهُمْ؛ بَـلْ وَلَـوْ لَمْ يَكُنْ قَـدْ تَلَقَّوْا تِلْكَ الْبِدْعَةَ عَـنْ مُنَافِقٍ؛ لَكِنْ قَالُوهَـا ظَانِّينَ أَنَّهَا هُدًى وَأَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنَّهَا دِينٌ؛ وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَوَجَبَ بَيَانُ حَالِهَا).

قـال الموفق ابن قدامة في رده على أبـي الوفاء ابن عقيل ص٣٥: (وَمَا عادتي ذكـر معائب أَصْحَابنَا، وإنني لأحب سـتر عَوْرَاتهمْ، وَلَكِن وَجـب بَيَان حَال هَذَا الرجل، حِين اغْترَّ بمقالته قوم واقتدى ببدعته طَائِفَة من أَصْحَابنَا، وشـككهم فِي اعْتِقَادهم حسـن ظنهم فِيـهِ، واعتقادهم أَنه من جملَة دعاة السّـنة، فَوَجَبَ حِينَئِذٍ كشف حَاله، وَإِزَالَة حسن ظنهم فِيهِ، ليزول عَنْهُم اغترارهم بقوله، وينحسم الدَّاء بحسم سَببه).

وليـس الرد على المخالفين من المسـلمين مـن الغيبة، لما ذكـر العلماء أن الغيبـة تجوز في أحـوال، منها التحذير من أهل الشـر والبـدع، إذا كان ذلك على وجه النصح للمسلمين، وبيان الحق لهم.

ولهذا رد علماء السلف منذ القرون الأولى على الفرق الضالة، وسموا أهل البدع بأسمائهم، وحذروا منهم، وهذا أمر ظاهر معلوم لا يحتاج إلى بيان.

ومن ذلك ما جاء في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٤٨ أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حذر من الحارث المحاسبي، وغضب على من جالسه واستمع إليه، فقيل له يا أبا عبد الله يروي الحديث ساكن خاشع، فغضب وقال: لا يغرك خشوعه ولينه فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره.

وفي طبقات الحنابلة أيضا ٢/ ١٨٣ أن رجلا سمع الإمام أحمد يقول: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال له: لا تغتب العلماء، فقال الإمام أحمد: ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة.

ويجب على أهل العلم نصرةُ من يقوم بالرد على المخالفين، وتأييدُه، ولا يجوز خذلانُه والتشغيبُ عليه، فبعضهم يكون مقصرا في واجب الرد على المخالفين، ثم يضيف إلى هذا التقصير تخذيلَ من قام بواجب الرد.

ومن عبارات هؤلاء المخذلين: لا تفرقوا بين المسلمين. لا تتكلموا في إخوانكم، هؤلاء لهم جهود في الدعوة وفي الخير ... إلخ عباراتهم.

فيقال لهؤلاء هل تريدون من أهل الحق أن يروا أهل الباطل يهاجمون السنة، ويخالفون الاعتقاد، ويُلبِّسون على الناس دينهم، إما بقصد أو بغير قصد، ويُطلَب منا السكوت عنهم بمثل هذه الحجج الواهية؟!

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كلام نفيس في هذه المسألة: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رحمة واسعة عند كلامه عن الاتحادية[1] كما في مجموع الفتاوى

(١) حيث وصف أئمتهم بالكفر والزندقة، والاتحادية: هم الذين يقولون باتحاد الخالق بمخلوقاته تعالى الله عن ذلك علوا عظيما.

٢/ ١٣٢: (وَيَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ مَنْ انْتَسَبَ إِلَيْهِمْ أَوْ ذَبَّ عَنْهُمْ أَوْ أَثْنَى عَلَيْهِمْ أَوْ عَظَّمَ كُتُبَهُمْ أَوْ عُرِفَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ أَوْ كَرِهَ الْكَلَامَ فِيهِمْ أَوْ أَخَذَ يَعْتَذِرُ لَهُمْ بِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَدْرِي مَا هُوَ أَوْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ صَنَّفَ هَذَا الْكِتَابَ وَأَمْثَالَ هَذِهِ الْمَعَاذِيرِ الَّتِي لَا يَقُولُهَا إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُنَافِقٌ؛ بَلْ تَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُمْ وَلَمْ يُعَاوِنْ عَلَى الْقِيَامِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْقِيَامَ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ أَفْسَدُوا الْعُقُولَ وَالْأَدْيَانَ عَلَى خَلْقٍ مِنْ الْمَشَايِخِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ. فَضَرَرُهُمْ فِي الدِّينِ: أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ مَنْ يُفْسِدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ دُنْيَاهُمْ وَيَتْرُكُ دِينَهُمْ كَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ).

وهذا الكلام يعم كل من كان على بدعة وضلالة.

أما المخالفون للسلف الصالح من أهل البدع والجماعات الضالة فلا يلتزمون بالرد على كل مخالف للدين، بل تجد منهم من يسكت عن مخالفات أتباعهم، ولو كانت مخالفاتهم وضلالاتهم عظيمه، وإذا ردوا فإنهم يردون على من يخالف مذهبهم وحزبهم وجماعتهم فقط.

❁ ❁ ❁

المعلم التاسع

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

تعظيمهم لعلماء السنة، والأخذ عنهم، والالتفاف حولهم خاصة عند وقوع الفتن، وعدم التقدم بين أيديهم برأي أو فتوى تخالف قولهم، وذلك لما حباهم الله تعالى من نور الإيمان، والبصيرة بالكتاب والسنة، والفقه في دين الله تعالى، فكان الصدور عن رأيهم صمام أمان بإذن الله تعالى لهذه الأمة.

ويدل لهذا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾

ومن صفات العالم الذي يؤخذ عنه العلم، أن يكون متمكنا من علم الشريعة، سليم المعتقد، داعيا إلى التوحيد، ملتزما بالسنة، سائرا على منهج السلف الصالح.

ومن صفات العالم الذي يؤخذ عنه العلم التقوى والورع والدين المتين.

والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.

وهذا إنما يعرف بمخالطة هذا العالم أو بنقل الثقات عنه أو قراءة سيرته، لأنه لا يكفي في العالم مجرد علمه، حتى لو كان واسع العلم، بل لا بد مع ذلك من التقوى والاستقامة، لأن من لا ورع عنده قد يُلبِّس على الناس دينهم ويفتيهم بخلاف الحق، اتباعا لهواه.

فمن كان من العلماء على دين وصلاح فإنه يؤخذ العلم عنه حتى لو كان أقل علما من غيره، ففي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٠٢ قيل للإمام أحمد مَن نسأل بعدك؟ فقال: سلوا عبد الوهاب -يعني الورَّاق-، مثله يوفق لإصابة الحق.

وَفي سير أعلام البنلاء ١٢/ ٣٢٣ للذهبي: قَالَ المَرُّوْذِيُّ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ يَقُوْلُ: عَبْدُ الوَهَّابِ الوَرَّاقُ: رَجُلٌ صَالِحٌ، مِثْلُهُ يُوَفَّقُ لإِصَابَةِ الحَقِّ.

أما المخالفون لمنهج السلف الصالح، فهم يزدرون علماء السنة، وينتقصونهم، ويتقدمون بين أيديهم، ويخالفونهم، خاصة في أوقات النوازل والفتن.

وهذا أمر معلوم عند أهل البدع من قديم، فقد وصف بعض المبتدعة علماء السنة بأنهم علماء حيض ونفاس:

قال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ١٨٢: (قَالَ إِسْمَاعِيل وحدثني اليسع قَالَ تكلم واصل يوما فَقَالَ عَمْرو بْن عُبَيد ألا تسمعون ما كلام الْحَسَن، وابن سِيرِين، عندما تسمعون إلاَّ خرقة حيضة مطروحة).

قال الشاطبي في الاعتصام ٣/ ١٧٧: (وروي عن إسماعيل بن عُلَيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْيَسَعَ، قَالَ: تَكَلَّمَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ يَوْمًا - يَعْنِي الْمُعْتَزِلِيَّ - فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ مَا كَلَامُ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ - عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ - إِلَّا خِرْقَةُ حَيْضٍ ملقاة.

روي أَنَّ زَعِيمًا مِنْ زُعَمَاءِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ كَانَ يُرِيدُ تَفْضِيلَ الْكَلَامِ عَلَى الْفِقْهِ، فَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ عِلْمَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ، جُمْلَتُهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ سَرَاوِيلِ امْرَأَةٍ.

هَذَا كَلَامُ هَؤُلَاءِ الزَّائِغِينَ، قَاتَلَهُمُ اللهُ).

ولكل قوم وارث، فنجد اليوم من الجماعات الضالة المناوئة للسنة من يتنقص علماءنا الكبار علماءَ السنة في هذه البلاد بأنهم لا فقه لهم بالواقع، أو أنهم لا ينكرون المنكر .. إلخ.

وقصدهم صرف الناس عن الأخذ عن هؤلاء العلماء، ليخلو لهم الجو في توجيههم لما يريدون.

المعلم العاشر

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

أنهم لا يجالسون أهل البدع، ولا يقرؤون كتبهم، لما يخشى من مجالستهم على من جالسهم أن يفتتن بهم، ويغتر بباطلهم، فقد تَعْلَق في قلبه شبهة من شبههم فيزيغ قلبه، ويضل عن الحق.

ولذا حذر السلف من ذلك فمن كلامهم قول أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ» رواه الدارمي برقم ٤٠٥.

فمنهج السلف الصالح هجر أهل البدع والضلال، خاصة من كان منهم داعيا إلى بدعته وضلاله.

لأن معاشرة المبتدع ومخالطتَه والسلامَ عليه وزيارتَه وتوقيرَه والبشاشَة في وجهه، يعد تزكية له، وهذا يؤدي إلى مفاسد منها:

١- التغرير بالعامة والجهال، فيظنون أن هذا المبتدع على حق، فيتبعونه على بدعته.

٢- أن هذا يؤدي إلى بقاء المبتدع على بدعته ونشاطه في الدعوة إليها.

فتحيا حينئذ البدع وتموت السنن.

قال الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم،

ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرَّت في القلوب ضرت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت.

وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم).

فالأصل هجر أهل البدع، وعدم مجالستهم وقراءة كتبهم، ويستثنى من ذلك من كان من أهل العلم المتمكنين منه، فيقرأ كتبهم ليرد عليهم.

أو من يحتاج إلى مخالطة أهل البدع؛ لتحصيل منفعة للمسلمين أو دفع مفسدة عنهم، فيباح أن يخالطهم بقدر الحاجة، كما ذكر ذلك أهل العلم.

❁ ❁ ❁

المعلم الحادي عشر

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

أنهم لا يأخذون العلم عن المبتدعة، بل لا يأخذونه إلا عن أهل السنة والجماعة، والأخذ عن أهل البدع والتتلمذ على أيديهم فيه خطر كبير على التلميذ، لأن التلميذ غالبا ما يُعظِّم شيخه، ويُجلُّه، ويكون له في قلبه محبه، فربما تأثر ببدعته، فصار على طريقته.

ولذا نهى علماء السلف عن الأخذ عن أهل البدع.

ومن أمثلة ذلك: محمد بنُ عبدِ الله بنِ حميد الحنبلي صاحبُ كتاب: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة المتوفى سنة ١٢٩٥هـ. ولد في عنيزة ١٢٣٦هـ وكان قد أخذ عن علماء التوحيد في أول أمره وممن أخذ عنهم مفتى الديار النجدية في زمانه الشيخ عبد الله أبابطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ المتوفى سنة ١٢٨٢هـ، أخذ عنه الفقه، وغيره من العلوم، ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم وأخذ عن بعض علماء البدع، منهم أحمد زيني دحلان المعروف بعدائه للدعوة السلفية في نجد، فتأثر بهؤلاء، ونتج عن ذلك موقفُه المعادي لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في تأليفه لكتابه هذا في تراجِم فقهاء الحنابلة، فقد أعرض عن تراجم علماء الدعوة ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه ومن بعدهم، وهم في زمانهم كبار علماء الحنابلة[(١)].

ولهذا يجب على طلاب العلم التنبه في هذا العصر من أخذ العلم عن المخالفين في الاعتقاد، كالأخذ عن بعض المتأثرين بالجماعات الخارجية

(١) ينظر مقدمة السحب الوابلة ١/ ٧، ٣٣، ٧٥.

المعاصرة، فإنه لو أخذ عن مثل هؤلاء فلا يأمن أن يزينوا له الخروج على الحاكم بالقول أو الفعل، ونحوها من المسائل، لأن التلميذ يتأثر بشيخه تأثرا كبيرا.

وفي مقدمة صحيح مسلم يقول الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

ومن أخبار علماء السلف في ذلك قول الإمام محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: طفت الشرق والغرب مرتين، ولم أسمع من المبتدعين حديثاً[1].

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: المدخل لابن بدران ص٤٩٩.

المعلم الثاني عشر

من معالم منهج أهل السنة والجماعة

أن الدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا بعد العلم، كما قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره: (يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين).

وقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

وفي صحيح البخاري ١/ ٢٤: (بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ. لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فَبَدَأَ بِالعِلْمِ).

وممن خالف في هذا من جماعات البدع المعاصرة جماعة التبليغ (الأحباب) فليس من أصول الجماعة العناية بالعلم الشرعية، والاشتغال به، وهم يطلبون ممن اهتدى على أيديهم حديثا أن يخرج معهم للدعوة إلى الله تعالى، وهذا من الخلل في المنهج، فإنه لا دعوة إلى بعلم.

وجماعة التبليغ أسسها محمد إلياس الكاندهلوي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، وهو في الاعتقاد صوفي ماتريدي، فهو ليس على عقيدة السلف الصالح، وكان عنده حماس للدعوة على طريقته، فأسس هذه الجماعة، التي انتشرت في كثير من البلاد، وجاء بعده من كبراء هذه الجماعة وقادتها من ساروا على طريقته في الاعتقاد الدعوة، فهذه الجماعة جماعة بدعة وضلالة.

وكبار علماء السنة في هذا العصر قد حذروا من جماعة التبليغ، منهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالح بن فوزان الفوزان والشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ عبد الله بن غديان وغيرهم كثير من كبار العلماء وأهل العلم رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

وبيان حال هذه الجماعة وغيرها من الجماعات البدعية المخالفة للسنة، يعد من النصح للدين، والقيام بما أوجب الله من الرد على المخالفين، وبيان حالهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فإن بيان حالهم – يعني أهل البدع – وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بنِ حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل)[1].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٣١.

آثار لزوم منهج أهل السنة والجماعة

في لزوم منهج أهل السنة والجماعة آثار دينية ودنيوية.

أما الآثار الدينية فمنها:

١- تحقيق التوحيد لله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا أعظم ما أمر الله به.

٢- تحقيق الاتباع للنبي ﷺ واقتفاء هديه والسير على طريقته.

٣- السلامة من الشرك كبيرة وصغيره خفيه وجليه.

قال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه الانتصار لأصحاب الحديث ص٣٣: (وَهل زاغ من زاغ وَهلك من هلك وألحد من ألحد إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى الخواطر والمعقولات وَاتِّبَاع الآراء فِي قديم الدَّهْر وَحَدِيثه، وَهل نجا من نجا إِلَّا بِاتِّبَاع سنَن الْمُرْسلين وَالْأَئِمَّة الهادية من الأسلاف الْمُتَقَدِّمين).

٤- حصول الأمن في الآخرة من عذاب الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ واتباع غير سبيل المؤمنين، معناه مخالفة ما عليه السلف الصالح، فحينئذ عقوبته ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

وفي حديث الافتراق قال ﷺ: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ...) فمن كان على مثل ما كان السلف وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فهو ناج من النار، ومن لم يكن على مثل ما كانوا عليه فهو متوعد بالنار، عياذا بالله تعالى.

ومن الآثار الدنيوية، فمنها:

١- حصول الأمن، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي من آمن بالله عز وجل، ولم يظلم نفسه بالشرك بالله تعالى فله الأمن في الدنيا والآخرة.

٢- السلامة من الفتن، التي تعم فيه الفوضى وتسفك فيها الدماء، ففي لزوم منهج أهل السنة والجماعة السلامة من كل فتنة، لأن منهج السلف ينهى عن الدخول في الفتن، وأز الناس إليها، بل يأمر بما جاء في النصوص من عدم السعي فيها والاستشراف لها.

٣- قلة الجرائم في البلد التي يلتزم أهلها بمنهج أهل السنة والجماعة، لأن منهج السلف منهج اتباع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة عقيدة وعملا، فهو التزام بالشريعة الإسلامية، ومن التزم بهذه الشريعة فلن يقع منه معصية، سواء أكانت معصية في حق الله تعالى أم في حقوق العباد، وحينئذ يسود المجتمع المسلم الأمن والأمان، وحفظ النفوس والأموال والأعراض.

هذا ما تيسر عرضه في هذه المحاضرة عن معالم منهج أهل السنة والجماعة، أسأل الله عز وجل أن يسلك بنا سبيل سلفنا الصالحين، وأن يوفقنا للاقتداء بهم، وأن يثبتنا على الإسلام والسنة حتى نلقاه، وأن يعيذنا من الشرك والبدع، وأن يغفر ذنوبنا ويستر عيوبنا، وأن يتقبل منا، والحمد لله رب العالمين، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.